التجديد
المجلد 19، العدد 37 (2015/1437) 251-265
حقوق الطبع محفوظة ل IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
IISN 1823-1926 (Print)

# "جزيرة البنائين"*
# قصة تعليمية في الفكر الإبداعي وفي التربية العقائدية والاجتماعية

فؤاد محمود رواش**

## تقديم

يحتاج الجيل الجديد بصفة عامة إلى نوع من التعليم يختلف في أسلوبه ومحتواه عما كان الأمر في الأجيال السابقة؛ فالجيل الجديد في ظل متغيرات العصر قي أمس الحاجة إلى مخاطبة العقول وتنشيطها، أكثر مما يحتاج إلى حشوها وحقنها، يحتاج إلى حفز طاقات الإبداع الكامنة فيه، والانطلاق والتحرر الفكري من الجمود والوقوف عند حدود الموروث من بعض المفاهيم والعادات والمعلومات والحقائق، مع الحفاظ على أسس العقيدة، والقيم والمبادئ، والأعراف الاجتماعية الجيدة، وهذه مسؤولية تربوية متكاملة، وذلك حتى يشق أبناؤنا لأنفسهم سبيلاً في عصر تكاثرت فيه العلوم بتدافع شديد.

عرض القصة التي بين أيدينا "جزيرة البنائين" السعى إلى تحقيق هذا النوع من التعليم الذي يعتمد على مخاطبة العقول، ودفع أصحابها إلى التفكير والانطلاق والتحرر من أسر

---

* تأليف د. عبد الحميد أحمد أبوسليمان، جزيرة البنائين (بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2013).

** ماجستير في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ودكتوراه في اللغويات، وعمل في مجال التعليم لمدة 40 سنة حتى الآن، وحاليا أستاذ مشارك في كلية التربية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، البريد الإلكتروني: rawash@hotmail.com أو fouad@iium.edu.my

القيود الفكرية المضللة المحبطة، مع غرس الثقة في النفس، والتفاؤل من أجل بناء مجتمع متكامل أساسه العدل، وترسيخ مفهوم الإيجابية، واستنكار السلبية.

## مضمون قصة "جزيرة البنائين" وعناصرها

تكمن أهمية هذا النتاج الفكري الأدبي "جزيرة البنائين" في في كونه يسعى لتحقيق كل ما تقدم بأسلوب مشوق ممتع، مستندًا إلى مدخل جديد مقارنة بما هو متوفر في مجال مخاطبة الناشئين والبالغين على السواء، يعكس ذلك بوضوح ما نجده على صفحة الغلاف حيث يقول المؤلف: "جزيرة البنائين قصة تعليمية في الفكر الإبداعي وفي التربية العقائدية والاجتماعية". (صفحة غلاف الكتاب).

تقع القصة التي نتناول مراجعتها في ثلاثمائة وستين صفحة من القطع الصغير مجموعة في مجلد واحد مرة، ومرة أخرى في سلسلة من تسعة كتيبات كل كتيب أسماه المؤلف حلقة. وتضم القصة بين دفتيها ثمانية وعشرين عنوانًا رئيسيًا، بالإضافة إلى ملحق توضيحي، كل عنوان في حد ذاته يعتبر فكرة قائمة بذاتها تمثل قيمة معينة قد تكون حكمة، أودليل عمل، أو أساس بناء، أو إرساء مبدأ، أو غرس قيمة، و ما شابه ذلك، لتوجيه الفرد في حياته، يستثنى من ذلك خمسة عناوين وهي:

البومة تنقذ الديك.

الأشباح تهجم على الثعلب.

السنجاب يدمي رأس الحمار.

الذئب يرعى الغنم.

القدر بثلاثة أرجل. هذا بالإضافة إلى الخاتمة.

العناوين السابقة من السهل تغييرها مع الإبقاء على المضمون، بحيث تنسجم مع العناوين الأخرى. فعلى سبيل المثال يمكن تغيير "البومة تنقذ الديك" فتصبح "الخير يأتي من حيث لا نحتسب"، وهكذا الحال مع العناوين الأخرى.

تدور أحداث القصة حول ما حلَّ بقوم وجزيرتهم التي كانت آمنة مطمئنة، إلى أن طمع فيها الطامعون، مستغلين ضعف أهل تلك الجزيرة فاعتدوا عليهم وأرهبوهم، واغتصبوا الجزيرة ونهبوا خيراتها وعاثوا في الأرض فسادًا، الأمر الذي اضطر معه أهل الجزيرة وأصحابها إلى هجرها هربا من الأعداء الغاصبين، ونجاة بأرواحهم، وظلت أحداث القصة تتوالى بأسلوب أدبي محبب إلى النفوس، وبحبكة فنية منطقية تحترم العقل، وتقدر دوره، وتعتمد على مبدأ الشورى، والحوار، واحترام وتقدير كل الإمكانات مهما صغرت، ومن الملفت للنظر عدم وجود شخصية محورية تدور حولها أحداث القصة، تلك الشخصية التي يطلق عليها عادة اسم "بطل القصة". استغرقت أحداث القصة زمنًا ليس بالقصير، وجهدًا لا كلل فيه، وإخلاصًا لا يشوبه تردد، حتى تمكن أهل الجزيرة من استعادتها وإجبار المغتصب على الرحيل عنها. اعتمد أهل الجزيرة على أنفسهم وما لديهم من إمكانات دون اللجوء لأجنبي قد لا يقل طمعًا عن المغتصبين، وهنا تكمن فكرة قوة الإرادة، وعدم الركون والاستسلام للعجز والكسل. وقد كان العقل والتفكير الإبداعي، وتبادل الأفكار ودراستها، والتكامل أهم عدة أهل الجزيرة لتحقيق أهدافهم.

قدم الكاتب كل ذلك بأسلوب غير مباشر، معتمدا على أمرين، أولهما الأسلوب القصصي لما لهذا الأسلوب من جاذبية وتشويق، والثاني الرمزية. نسج الكاتب أحداث القصة على ألسنة الحيوانات والطيور المختلفة، وقدر حكما بليغة، وأعظم الدروس والعبر على ألسنة الحيوانات، وهذا يجعل القارئ يشعر للوهلة الأولى أن الكاتب حذا حذو بيدبا الفيلسوف في مؤلفه الشهير "كليلة ودمنة". وقد أشار الكاتب إلى ذلك صراحة حيث قال في المقدمة: "نقدم اليوم قصة جميلة منسية مسبوكة على ذلك المنوال من قصص بيدبا الفيلسوف هي قصة جزيرة البنائين" (ص9).

تتوجه القصة إلى الشباب من الجنسين، والرجال والنساء على السواء من أبناء الأمة الإسلامية، وذلك باعتبارهم أساس المجتمع ابتداء من الأسرة وانتهاء بالدولة. فالقصة تهدف إلى تقصي سبل بناء المجتمع القوي الذي يقوم على أساس القيم والحق والعدل

والمساواة واحترام الحقوق والالتزام بالواجبات واحترام العادات والأعراف، والثقة بالنفس، وتقدير قيمة العقل باعتباره القائد والموجه للسلوك، والمحدد للاختيارات، والداعم للخطط. هذا ما نجده بوضوح في الإهداء الذي كتبه المؤلف، وبعد الاطلاع على المقدمة يمكن أن ندرك أن الكاتب قد استهدف أيضًا الأطفال بالإضافة إلى الشباب والكبار حيث قال: "يتسلى بها الصغار، بشكل وجداني تلقائي طفولي، ويتعلم منها ويعتبر بها الشباب والكبار بشكل جاد نفسي وفكري". (ص9)

تناول الكاتب في الفكرة الأولى كون الإنسان المسالم الآمن، الذي يعيش في رخاء عرضة لعدوان وطمع الغاصبين الأشرار، ما لم يكن لديه من القوة ما يردع بها الأعداء ويجعلهم يحسبون له حسابا قبل التفكير في اغتصاب حقوقه، فإن لم تتوفر له تلك القوة تعرض للذل والهوان، والسلب والنهب والخسران، وكأن الكاتب من بداية القصة يريد أن يلفت الانتباه لضرورة الاستعداد لدفع بغي البغاة، ورد عدوان المعتدين، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: 60) ومن الملاحظ أن الكاتب لم يشر إلى الآيات القرآنية وإن كان ينطلق في حديثه من فهم قرآني إسلامي عميق.

هجر المسالمون أرضهم، وخسروا خيراتها، وعانوا من جراء ذلك ما عانوا، ولكن خوفهم الشديد من عدوهم، وإحساسهم بالضعف، وقلة الحيلة أمام عدو جبار يتمتع بقوة مادية ظاهرة منعهم حتى من لا يفكرون مجرد التفكير في مقاومته استعادة لأرضهم وخيرات جزيرتهم إلى أن وقعت واقعة بسيطة استلهموا منها فكرة الخلاص، وكانت تلك الواقعة بداية مشوار طويل كلل جهودهم بالنجاح، وخلاصة الواقعة أن الديك - وهو طائر مسالم غير عدواني أو مفترس - كاد أن يقع فريسة للثعلب، إلا أن نعيق البومة الذي رسخ في الأذهان أنه صوت شؤم، ونذير خراب وكوارث كان هو السبب في نجاة الديك وحرمان الثعلب من وجبة شهية، فكرت الطيور في تلك الواقعة، فصححت أفكارها الخاطئة، وتخلت عن الموروث الخرافي، ونظرت إلى البومة نظرة احترام وتقدير، بعد أن كانت

لا تقيم لها وزنًا سوى الكراهية والضيق، وكذلك فعلت الحيوانات الأخرى. ومن هنا بدأت فكرة استغلال الإمكانات الذاتية المختلفة من أجل مواجهة العدو ودحره.

بدأت اللقاءات والمشاورات، ولم يكن الطريق سهلاً، ولا المشوار قصيراً للوصول إلى الغاية، ولكن تم الشروع فيه بإخلاص، وجد ومثابرة، حتى تحقق للحيوانات والطيور المسالمة ما كانت تصبو إليه. توالت الاجتماعات، ونوقشت الأفكار، وروعيت ظروف كل فرد حسب قدراته الطبيعية، وأتيحت الفرص للجميع، فشعروا جميعًا بأنهم أعضاء جسد واحد، وكانوا بعد كل لقاء يخرجون بفكرة جديدة تسهم إسهامًا فعالاً في تأسيس دولتهم تأسيسًا قويًا، مما سوف يساعدهم على الخلاص من عدوهم، والعيش في جزيرتهم مرة أخرى في رخاء كما كانوا، وأقوياء تحول قوتهم دون تكرار المأساة. وكانت الفكرة المركزية فكرة تحقيق وتفعيل مفهوم التكامل، وإرساء مبدأ العدل والمساواة.

ناقش الكاتب كل الأفكار بأسلوب منطقي، ولم يغفل جانبًا إلا واستطرد في بيان أهميته في بناء المجتمع الجديد. لقد تنوعت الأفكار والموضوعات، فشملت الجوانب الاجتماعية، والعقائدية، والتربوية، والاقتصادية، والصحية، والسياسية، وكل أمور تنظيم الدولة، ورغم جدية تلك الأمور، بل وحساسية بعضها، إلا أن الكاتب استطاع أن يعالجها بأسلوب ممتع تتخلله الدعابة، والفكاهة، مما يدفع عن القارئ الملل والسأم، فيواصل القراءة، ويصبر على الوقوف ليتأمل ما وراء الحديث، ويتدبره، ويخرج بالفوائد العملية المرجوة، والدروس والعبر التي تنير له الدرب.

تناولت الحلقة الأولى من القصة تمهيدًا قصيراً ليبدأ بعده مباشرة توضيح ما يعرف بالعقدة، دون إسراف أو خوض في أحداث هامشية، بل ووضع أيدينا من البداية على أول الخيط الذي تبدأ منه خطوات حل العقدة، وتمثل ذلك في تعاون الجميع واعتماد مبدأ الشورى أساسا للتفاهم، وأسلوبا لحل المشكلات.

وتناولت الحلقة الثانية إبراز أهمية تنظيم القواعد الدفاعية في ضوء مبدأ الشورى، وبيان حاجة المجتمع لتوفير أساسيات الحياة وتدبير مواردها، وتمثل ذلك في الغذاء اللازم

للمجتمع. أما الحلقة الثالثة فقد ركزت على كيفية تأسيس الحكومة وتنظيمها، مبينة أن العدل أساس الملك، وأن الشورى هي السبيل إلى تحقيق العدل. وسلطت الحلقة الضوء كذلك على إبراز خطورة الفساد، وكيف أنه تقضي آفة القضاء على أي تنمية. وفي الحلقة الرابعة أقر الكاتب أن اللجوء إلى الحيلة والدهاء، وإعمال الفكر لمقاومة الأعداء، ودحرهم من الأمور المهمة والمطلوبة بإلحاح، وفي المقابل يجب إشاعة الحب والإخلاص بين أفراد المجتمع، وضرورة الولاء والانتماء له مما يساعد على النهوض به وتحقيق الرخاء، وفيما يتعلق بوضع الدستور، وما يرتبط به من مناقشات، وبيان دور الأسرة، وتوضيح ثوابت المجتمع وبنائه، ووضع المبادئ الأساسية، وضرورة أن يعم السلام أفراد المجتمع وربوعه بأسره. كل ذلك ناقشه الكاتب في الحلقتين الخامسة والسادسة، بالإضافة إلى خلق مواقف توضح كيفية إدارة الخلافات وعلاجها فور وقوعها حتى لا نتركها تتفاقم إلى أن يصعب بعد ذلك حلها، وتكون سببًا لتدمير بعض البناء. وقد سلطت الحلقتان كذلك على ضرورة الاتعاظ بما مضى من أحداث والاستفادة منه منعا لتكراره إن كان سيئا، والاستفادة منه إن كان مثمرا، فالتاريخ شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل، ولم يغفل الكاتب في هاتين الحلقتين عن إبراز توضيح الرؤية الكونية وهي الغاية الحياتية.

وفيما يتعلق بالحلقتين السابعة والثامنة، فقد بدا واضحًا رويدًا رويدًا تغيير أسلوب الكاتب حيث أخذ يناقش أفكارًا في غاية الأهمية مما جعله بقصد أو بغير قصد يلجأ إلى الصرامة بأسلوب تقريري مباشر إلى حد كبير. مما يستدعي ضرورة إعادة صياغة الحلقة الثامنة على وجه الخصوص، بحيث تظل تحمل المعاني التي اشتملت عليها كاملة، ولكن بالأسلوب المحبب البسيط المرح الذي اعتمده الكاتب في سائر حلقات القصة، دارت أحداث الحلقتين حول توضيح مفهوم الرؤية الكونية، وبيان غاية الحياة، وضرورة مشاركة الجميع في وضع الدستور. وقد ناقش الكاتب كذلك ضرورة وضوح أهمية العقائد والقيم والمبادئ والأديان في بناء الوجدان، وبين أنها اقتناع شخصي، وتلك قضية في غاية الأهمية وشديدة التأثير في حياتنا، كما أنها قضية يصعب على الصغار الإحاطة بها دون

أن يكون هناك معلم خبير في فن التعليم، فهي تحتاج إلى مهارة وبراعة من قبل المعلمين والمربين الذين يقومون بتناول القصة مع الصغار، وقد يكون هؤلاء من أفراد الأسرة كالوالدين، أو أحدهما، أو الإخوة الكبار.

قد يكون السبب وراء اختلاف أسلوب الكاتب في الحلقة الثامنة وطريقة مضمونها عن سائر حلقات القصة خلفية الكاتب العلمية والفكرية التي تتضح بجلاء من خلال الاطلاع على صفحة التعريف بالكاتب التي وردت في الصفحة الخاصة بالتعريف بالكاتب.

وفي الحلقة التاسعة والأخيرة ناقش الكاتب أسس بناء المجتمع السليم وقواعده، مؤيدا قوله بالحجج والأسانيد، وذكر أن تلك الدعائم تتمثل في أمور هي الأسرة، والتعليم والثقافة، ودور الإعلام، وقد يلمس القراء خطورة الإعلام ويتجاوبون مع ما ورد عنه نتيجة للخبرات الأخيرة التي تمر بها مجتمعاتنا ويلعب فيها الإعلام دوراً مؤثراً للغاية في تشكيل العقول وخاصة الشابة منها، أو قليلة الخبرة.

ويتلو الحلقات التسع ملحق توضيحي يقع في ست عشرة صفحة، تحت عنوان: "المفهوم القرآني: أمة يدعون إلى الخير"، وفيها يتناول الكاتب قضية مهمة للغاية ويدعو إليها مفكري الأمة وعلماءها، والقضية هي كون القرآن الكريم قدم الكثير من المفاهيم التي يجب أن تقوم عليها الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية هداية للبشر، وترك لهم أمر تنزيلها، وأسلوب تحقيقها، على ما يقتضيه تطور أحكام الزمان والمكان. ومن أبرز تلك المفاهيم التي تنبه إليها المفكرون منذ أمد ليس بالبعيد مفهوم الشورى، ويريد الكاتب أن يلفت الانتباه إلى إعادة قراءة القرآن الكريم لإدراك العديد من المفاهيم الأخرى. وينبه الكاتب إلى آيتين كريمتين تتعلقان بمفهوم الدعوة والتعليم الديني، والآيتان هما قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: 104)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: 122).

وقد أشار الكاتب إلى مفاهيم أخرى عديدة تستحق العودة إليها وتناولها بالدراسة،

ويركز على أهمية إسناد أمر تعليم القيم والدعوة والتربية والتعليم الديني إلى الأمة، ولم يغفل الكاتب في هذا الملحق الإشارة إلى أهمية الحماية الإعلامية.

## قصة "جزيرة البنائين" من منظور تعليمي

رغم أن الكاتب ينص صراحة على صفحة الغلاف أن هذه القصة تعليمية، إلا أننا نود أن ننفي عنها مواصفات الكتاب التعليمي المدرسي التقليدي، إذ أنه **ليس من بين أهداف تقديم هذا المحتوى أن يجلس المتعلمون أثناء تدريسه مجلس المتلقي** الذي يعد نفسه لتحصيل بعض المعلومات من أجل الاستعداد لأداء أي نوع من الامتحان يحدد مستواه أو يختبر درجة تحصيله من أجل تقرير ما إذا كان يستحق اجتياز مرحلة تعليمية إلى مرحلة أخرى أم لا. بل إن الحكم على نجاح المعلم والمتعلم في تحقيق الهدف الأسمى من هذه القصة يكمن في مقدرة الطالب على **استيعاب الأفكار الواردة في الكتاب، ومناقشتها، والإتيان بحلول أخرى غير الحلول التي قدمها الكاتب للمشكلات** التي يواجهها المجتمع، ويقاس النجاح كذلك بمدى تأثير الأفكار التي ناقشها الطالب على **تغيير سلوكه في حياته الخاصة**، وتفاعله مع يحيط به من أحداث عقائدية كانت أو اجتماعية، أو فكرية، فالنجاح في تغيير فكر المتعلم فيما يتعلق ببعض الموروثات الاجتماعية الداعية إلى الكسل والتراخي والاستسلام، والأفكار الهدامة، وأن يصبح عنصراً **فعالاً مستغلاً** قدراته التي منحه الله إياها مهما كانت ضئيلة في نظره، كل ذلك يعد جزءًا من الأهداف التي يسعى الكاتب إلى تحقيقيها.

**ومع** ذلك فإن مادة قصة جزيرة البنائين بمحتواها الفكري وصياغتها اللغوية يمكن أن يستفاد منها في المجال التعليمي بكل سهولة ويسر، فهي تمد يد العون للمعلم والمتعلم على السواء شريطة أن يعمل كل منهما فكره ويتعامل مع مضمونها بأسلوب غير الأسلوب المعتاد، فالمحتوى الفكري ثري ثراء يتيح للمعلم النشط أن يستخلص بعض الأفكار البناءة ويستثمرها في التعليم القائم على التفكير، (وليس

الحفظ والتلقين)، من أجل تنمية قدرة المتعلم على المناقشة، والتحليل، وحل المشكلات، وحفز المتعلمين على الإبداع، وتنمية مهارة النقد البناء، والقصة بأساليب عرضها المتنوعة، تتيح الفرصة للمعلم الاعتماد على طرق التعليم الثلاث، حسب كل موقف، وهي التعليم الفردي، والتعليم التنافسي، والتعليم التعاوني. والقصة وإن كانت تتناول أمورًا فكرية واضحة وصريحة، إلا أن الكاتب قد وفق توفيقًا ملحوظًا في التعرض للعديد من المكونات الثقافية الأساسية، فالعادات والتقاليد، والعلاقات المتعارف عليها بين أفراد المجتمع ملحوظة ومقدرة ومعتبرة لدى الكاتب، ولذا نجده يؤسس عليها وينطلق منها في بناء أحداث القصة. مع التركيز على ضرورة احترام الثقافات المختلفة وتقديرها.

أما عن الصياغة اللغوية فقد جاءت علينا في ثوب قشيب، والكاتب بذل جهدًا واضحًا في سبيل ذلك، حيث إن تناول مثل هذا النوع الجاد في المضمون بأسلوب سهل وممتع وجذاب ليس بالأمر الهين، فضلاً عن فصاحته وعرضه بأسلوب لا يصعب فهمه. أما الألفاظ والمفردات والتراكيب، فقد اختار الكاتب الشائع منها، كثير الدوران على الألسنة ونسج منها عباراته مما جعل القارئ يشعر بالألفة مع اللغة، وقد ساعد مبدأ تكرار المعاني، والمترادفات على تحقيق انسيابية القراءة دون اللجوء إلى التوقف المتكرر بحثًا عن معنى مفردة أو دلالة تركيب، وبذلك يقلص من عدد مرات التوقف التي قد تؤثر على مستوى الفهم أحيانًا، والملل أحيانًا أخرى.

ونحن وإن كنا نعلم أن استراتيجيات التدريس سواء القديم منها أو الحديث تتسع لتشمل العديد من الاستراتيجيات فإنه يمكن القول باطمئنان إن طريقة عرض المضمون والأحداث في القصة تتيح للمعلمين على اختلاف مشاربهم الاعتماد على الاستراتيجية الخاصة بهم، والتي يجيدون استخدامها وتنفيذ خطواتها، فالمواقف في القصة تتيح مثلاً تطبيق استراتيجية لعب الأدوار، أو العصف الذهني، أو المناقشة، أو الفصل المقلوب، وما إلى ذلك.

كما أن الكاتب قد حقق في القصة مواصفات المنهج بدرجة كبيرة، من حيث الأصالة والجدة، والمعاصرة، ومناسبتة للجمهور المستهدف، كما حقق من عناصر المنهج العديد، وذلك باستثناء ما يتعلق بالمادة التعليمية الخالصة، مثل الأنشطة، وطريقة التدريس، والتقويم.

## أسلوب الكاتب

يرى الكاتب أن الإنسان رجلاً كان أو امرأة، صغيراً أو كبيراً، قد زوده الله بقدرات معينة قد لا تتوفر لغيره، وأن المجتمع بمفهومه الواسع في حاجة إلى قدرات كل فرد من أفراده، مهما كان وضعه الاجتماعي، وإمكاناته الجسدية، ومواصفاته، فتلك أمور جعلها الله متفاوتة لدى الناس، ومن ثم وجب علينا تفعيل مبدأ التكامل.

اعتمد الكتاب لتوضيح هذا المدخل على الأسلوب القصصي الرمزي كما أشرنا من قبل، فقد جمع بين الأمرين، وكلاهما محبب إلى الكبار والصغار، حيث يتوفر فيهما عنصر التشويق، ويثير في المتعلمين الرغبة في المتابعة، ومحاولة اكتشاف المجهول. وكل ذلك لا يخلو من طرافة، ودعابة، ومرح في المواقف التي تستدعي ذلك، رغم أن الكتاب يتناول موضوعات في غاية الجدية. وإذا كانت الكتابة الفنية الأدبية في عالم الرواية والقصة ثد صنّفت إلى القصص والروايات، فقد تم تصنيفها، فهي إما فكاهية، ومأساوية، واجتماعية، وسياسية، وعاطفية، وما إلى ذلك من تصنيفات، فإن "جزيرة البنائين" تكاد تكون قد جمعت بين كل ذلك؛ وحيث إنها تتناول بناء المجتمع وأسس تنظيمه، فلا غرابة في ذلك، وهذا النوع الجاد المرح من الكتابة لا نكاد نجد له مثيلاً في الكتب التعليمية، وخاصة كتب تعليم العربية بصفة عامة، وكتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها على وجه الخصوص. فأغلب المواد المتوفرة من هذا النوع من الكتب إما جاد جاف، ينفر الطلاب أكثر مما يجذبهم، وإما سطحي لا يخلو من سذاجة أحياناً، الأمر الذي يقلل من فرص المناقشة، وإبداء الرأي، والنقد والتحليل،

وتعطيل آلة الإبداع، ولذا فإني أرى أن قصة "جزيرة البنائين" تعد محاولة رائدة لعلاج هذه المشكلة.

## عنوان القصة

بدت فلسفة الكاتب واضحة في عبارة "جزيرة البنائين" عنواناً للقصة، فهذا العنوان يتكون من كلمتين، كل واحدة تحمل في طياتها الكثير من المعاني، فالجزيرة هي المجتمع والبيت بكل ما يحمله المعني من المكونات المادية، والسكان ومدى تفاوتهم في القدرات والإمكانات، والجزيرة بصفة عامة مكان جميل، وموطن الإنسان لو لم يكن جميلاً شكلاً، فهو جميل معنى، هذا ما فهمته من مغزى القصة، وقد يكون للكاتب رأي آخر، أو تبرير مختلف. أما كلمة البنائين فهي تشير إلى مسؤولية أهل الجزيرة وساكنيها، وجعلها الكاتب "البنائين" وليس "البانين" لما بينهما من فرق في المعني. ومن هنا يستطيع المعلم أن يبدأ عمله من أول لحظة بتفعيل أحد أهداف القصة من الناحية التعليمية بتوضيح الفرق الدلالي، ومن الناحية الفعلية والعملية بتوضيح ماذا يجب علينا عمله تجاه مجتمعنا، فعلينا أن نكون بنائين، كي نسهم في عمارة الأرض، وليس مجرد بانين، لكي نحصل على لقمة العيش. فالعمل الدائم بإخلاص ومثابرة هو أساس النجاح والتقدم، والبناء والتطور، والنهوض، ولا يمكن للأرض أن تعمر بغير العمل الجاد، وقد كلف الله الإنسان بعمارة الأرض.

## الجانب اللغوي في القصة

ورغم ان القصة لم تعد أساسا لتعليم اللغة، إلا أن الكاتب قدم لنا خدمة جليلة في هذا الصدد، وهذا أمر يمكن أن يلحظه المعلم الحاذق، ومن ثم يستثمره الاستثمار الأمثل، بحيث لا يصرف الهمة عن الهدف الأساسي. والهدف الأساسي هنا هدف فكري عقائدي وتحقيق الهدف الأساسي إنما يتحقق بفهم اللغة والاستمتاع بها وبممارستها، فأسلوب الكتاب مفيد بطريق غير مباشر في تعليم، أو قل تعزيز مهارتين من

مهارات تعليم اللغات، وهما مهارتا الاستماع والقراءة، أما مهارة الكلام فأمر ممارستها يتوقف على براعة المعلم في حفز الطلاب على الكلام بتهيئة الفرص لذلك. وعندها سيكون الكلام في مواقف طبيعية يعبر فيها المتعلم عما يثار في نفسه باعتباره رد فعل مباشر وتلقائي لموقف معين. أما مهارة الكتابة فإن الكتاب لايقدم شيئًا يذكر في هذا الصدد، وهذا لا يمنع المعلم من تكليف الطلاب من حين إلى آخر بالقيام ببعض أنواع الكتابة. وعمومًا ينبغي أن أذكر بما ذكرته آنفًا من أن الكتاب لم يعد لتعليم اللغة، ولكن يمكن الاستفادة منه في هذا المجال بصورة فعالة، وبذلك نضرب عدة عصافير بحجر واحد.

والقصة مسجلة تسجيلاً صوتيًا بالغ الدقة، تتحقق فيه مواصفات المادة التعليمية الجيدة المسجلة بكل أركانها، من حيث العناصر الفنية، من وضوح للصوت عالي الدرجة، وصحة مخارج الأصوات وتنوعها حسب المواقف والأشخاص، وسرعة أداء طبيعية لا تكلف فيها، وصحة لغوية وصوتية فائقة، وتنغيم سليم يحمل المعاني المختلفة، ومستوى نقاء لا تشوبه المؤثرات المقحمة، كل ذلك يدركه المتخصصون ويحمدونه. وباختصار فإن الجهد المبذول في إعداد المادة المسموعة والتي تمثل الكتاب كله، يعد جهدا كبيرا بحق، كل ما هنالك فإن هذه المادة **تحتاج إلى معلم متخصص مبدع يقوم بتطويعها من أجل تدريسها، وتحقيق الغرض من درس الاستماع، وهذا أمر ليس يسيرًا ما لم يكن المعلم من البنائين!**

أما مهارة القراءة فالمفردات بشأنها غزيرة، وسهلة القراءة، والألفاظ في مجملها ليست غريبة، والذي ساهم في غزارة تلك المفردات أمران مهمان معتبران تربويًا، الأول كثرة المترادفات، والأضداد، والثاني عدد مرات تكرار المفردة الواحدة في مواضع مختلفة، مما يسهل اكتساب أغلبها، والجمل قصيرة تَسهُل متابعتها. وهذا يتيح الفرصة للتفكير في مضمونها بدلاً من بذل الجهد في فك رموزها. والأفكار التي تحملها النصوص هي أفكار معاشة لا تحتاج إلى تخيل حدوثها، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نغفل هنا

الضبط الكامل للنص المقروء، سواء كان ضبط بنية **الكلمة الذي يساعد على نطقها نطقا صحيحًا، أوضبط أواخر الكلمات أي الضبط النحوي الذي يساعد على الفهم** لفئة من القراء، وتعزيز دروس وقواعد النحو لفئة أخرى، وهذا جهد كبير مشكور ومقدر، فلا يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا الصبابة إلا من يعانيها.

**ومن الأساليب الفنية التي** تثير المتعة في النفس أن يقوم الكاتب برسم صور بالقلم يثير في النفس متعة تحبب إلى الطالب القراءة، وهذا حدث في مواطن عدة منها مواقف وصف بعض الحيوانات وهي تتأهب لأداء عمل معين خاص بها، والخلاصة **فإن مادة هذا الكتاب توفرت لها مقومات فكرة إنقرائية النص.**

## العناصر اللغوية

**القصة تقدم حلاً** لمشكلة يعاني منها جل الطلاب من الناطقين بغير **العربية، وهي** مشكلة قلة حصيلتهم اللفظية سواء على مستوى المفردات، أوالتراكيب، فالكتاب ثري بالمفردات والتراكيب - **كما ذكرت آنفًا** - المستخدمة في مواقف غنية حية تساعد على **تذكرها، وجهد** المعلم يسهم في دفع الطلاب لاستخدامها.

**الكتاب وإن كان لا يتعرض لتناول دروس النحو والصرف، إلا أنه يمكن أن يكون عاملاً مساعدًا قويًّا** على شرح بعض دروسهما، وفقًا **لورود كل جزئية من أجزاء موضوع** النحو أو الصرف في النص بصورة طبيعية، وهذا مما **يساعد على فهم النحو وليس حفظ النحو**، وهذا الأسلوب يتفق ومداخل الطريقة الطبيعية في تعليم اللغات.

أما عن الأساليب فهي متنوعة، تكاد تغطي مختلف أنواع الأساليب العربية، من خبر وإنشاء بكل ضروبهما واستعمالاتهما، أي أنها تساعد على دراسة علم المعاني دراسة **عملية منبثقة من واقع الاستعمال اللغوي الواقعي. ومثل ذلك يمكن أن يقال على علمي البيان، والبديع، أي علوم البلاغة الثلاثة.** وفي هذا دفع للطلاب لتقدير العربية ومعرفة بعض أسرار جمالها بطريق غير مباشر مما يجعلهم يدركون معنى الإعجاز اللغوي.

وهذا مطلب عزيز المنال في أيامنا هذه، وإن كان غير مستحيل.

**الوسائل التعليمية في القصة**

الرسوم والصور التوضيحية المصاحبة لأي مادة تعليمية ضرورية جدا، حيث إنها يمكن أن تجيب عن العديد من التساؤلات لدى القارئ، وبذلك تحل بعض المشكلات المتعلقة بدقة الفهم، ومن الملاحظ على الصور والرسومات المتوفرة في القصة أنه ينقصها الدقة التي تجعلها قادرة على تحقيق الفوائد التي تمت الإشارة إليها، فيمكن الاستغناء عن كثير منها، ويحتاج بعضها للمزيد من الدقة.

## كيف نستفيد من هذه القصة في المؤسسات التعليمية

سبل الإفادة من القصة في المؤسسات التعليمية كثيرة، ولنأخذ الجامعة الإسلامية العالمية مثالاً، ولنتفق سلفًا على أن مادة القصة معدة لمن يعرف اللغة العربية ويستطيع قراءتها، فهذا يُخرج معظم طلاب مركز اللغات من الفئة المستهدفة، وبذلك يمكن تحديد بعض أوجه الاستفادة على النحو التالي:

- يمكن تقسيم مادة القصة إلى عدة أقسام.
- ليس من الضروري لمن يدرس القصة أن يدرس كل حلقاتها بشكل رسمي.
- تصلح مادة القصة للمستوى المتقدم في مركز اللغات لمدة فصل دراسي، وتفاصيل ذلك متروكة للمركز تبعا لظروف خطة الدراسة.
- تقرر القصة كاملة على طلاب قسم اللغة العربية، وطلاب التربية الذين يتخصصون في تعليم العربية للناطقين بغيرها، ويمكن الانتهاء من ذلك خلال فصلين دراسيين، ويتم تحديد ذلك في ضوء نتائج التجربة (أي التدريس للمرة الأولى). مع ملاحظة أن عددًا كبيراً من هؤلاء الطلاب قد درس جزءًا من القصة عندما كان في مركز اللغات.
- تحديد بعض الحلقات من القصة لطلاب الشريعة الذين يدرسون بعض المواد باللغة العربية. (التفاصيل متروكة للجهات المعنية).

- يمكن لطلاب الدراسات العليا بمرحلة الماجستير، إجراء بحوث حول القصة من منظور تربوي، أو من منظور لغوي، أو من منظور أدبي.
- يمكن أن يستفاد من القصة بصورة فعالة في برنامج القراءة الموسعة ضمن الأنشطة.
- يمكن تبسيط مادة القصة، وإخراجها في شكل مختلف، وأصغر حجما.

## ملاحظة واقتراح مهمة

لو تم تدريس القصة بالأساليب التقليدية المتبعة، لشعر الطلاب والمعلمون بالصعوبة، ولتسرب إليهم الملل، ولنتج عن ذلك إضاعة الوقت، **ونكون قد عطلنا أحد** المبادئ التي أشرنا إليها قبل قليل، **وهو مبدأ تقدير قيمة الوقت.**

نحن نحتاج فيما نحتاج إليه إلى:

- معلم لديه الرغبة في التدريس، ويقدر مسؤوليته، ويشعر بالمتعة أثناء القيام بعمله.
- **تدريب جيد وعملي** – **ليس نظريًا**- للمعلمين على كيفية تحقيق أهداف الكتاب.
- **تدريب المعلم** -أيضًا- **على كيفية إعداد الدروس.**
- **إعداد تدريبات خاصةً** متنوعة من قبل خبراء يمكن من خلالها تحقيق غايات **المؤلف وفقا للمستوى الفكري واللغوي لجمهور المتعلمين.**

هذه بعض الحاجات الأساسية، **وهذا لا يعني عدم وجود حاجات أخرى،** ولكنها تعتبرحاجات مهمة، وهذا يجعلني أدرك شدة صعوبته على مختلف الأصعدة، **ولذلك** أقترح تحويل **"جزيرة البنائين"** إلى مادة مصورة كرتونية، على غرار "افتح يا سمسم" يشاهدها ويستفيد منها الكبار والصغار، بحيث يمكن للكبار التعليق على مضمونها مع صغارهم في البيت بعد مشاهدتها، وبهذا يُسهِمُ أفراد الأسرة - **وخاصة الواعين منهم** - في القيام بالدور التربوي **المؤثر.**